جدلية العلاقة بين المواطنة والامة في الفكر الاسلامي المعاصر

م.د. عمر حمدان أ.م.د. بتول حسين علوان
جامعة بغداد-كلية العلوم السياسية

الملخص

هناك تفاوت في الفكر الإسلامي المعاصر بشأن العلاقة بين المواطنة والأمة، إذ انقسمت الرؤية الإسلامية المعاصرة بشأنها، فمنهم من ذهب إلى القول بإن المواطنة تتعارض مع مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي، إذ يجدون في مفهوم المواطنة بدعة غربية تتعارض مع مفاهيم الفكر الإسلامي عن الإمة؛ التي تقوم على أساس ديني، في حين أن المواطنة تقوم على أساس وضعي.

في حين يذهب آخرون إلى القول بأنه ليس هناك تعارضاً بين المفهومين, بل ذهب بعضهم إلى القول بأن مفهوم المواطنة مفهوم إسلامي، ومن ثمَّ فان اصحاب هذا الرأي يقدمون الولاء للاوطان على الولاء للأمة.

وسيناقش هذا البحث مفهومي المواطنة والأمة بصفةً عامة كإطار نظري مفاهيمي للدراسة، ومن ثمَّ الخوض في أطروحات المفكرين والباحثين الإسلاميين المعاصرين بشأن العلاقة بين مفهومي المواطنة والأمة.

المقدمة

شكلت العلاقة بين المواطنة والأمة هاجساً كبيراً لدى الكثير من المفكرين والباحثين الإسلاميين؛ إذ وجدوا ان هناك تبايناً كبيراً في الفكر الإسلامي المعاصر بشأنها، فذهب بعضهم للقول أن المواطنة تتعارض مع مفهوم الأمة؛ الذي يقوم على أساس وحدة الانتماء إلى الدين الإسلامي، ومِن ثمَّ فإنّهم يقدمون الولاء للدين الإسلامي على الولاء للوطن ، في حين يؤكد آخرون بأنّه ليس هناك تعارض بين مفهوم الأمة والمواطنة، بل ذهب بعضهم إلى القول بأنّ المواطنة مفهوم إسلامي، مؤكدين بأن الرؤية الإسلامية تتقبل فكرة المواطنة بمعناها الحديث ؛ أي الاشتراك على قدم المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات التي يفرضها الانتماء إلى مجتمع سياسي ، ومِن ثمَّ فإنّهم يقدمون الولاء للوطن على الولاء للأمة ، إنطلاقاً من مرويات للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) تؤكد أن(حب الوطن من الإيمان)[1].(*)

- **إشكالية الدراسة:**

[1] **أخرجه الالباني في سلسلة الاحاديث الضعيفة (*) .**

واجهت الدراسة إشكالية رئيسة هي: الغموض والالتباس في مواقف المفكرين الإسلاميين بشأن علاقة المواطنة بالأمة ، مما يجعل من الصعب الحصول على موقف إسلامي متفق عليه بشأنها ، وذلك ما يجعل التفاوت في الآراء والمواقف السمة البارزة للمفكرين الإسلاميين المعاصرين في موقفهم من العلاقة بين المواطنة والأمة.

وتحاول الإشكالية الاجابة على سؤال محوري إلاّ وهو:

هل هناك تعارض بين مفهوم المواطنة ومفهوم الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر؛ أم أن مفهوم المواطنة يتقارب مع مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر؟

- **فرضية الدراسة:**

تنطلق الدراسة من فرضية مُفادها :" ان هناك تبايناً في الفكر الإسلامي المعاصر بشأن العلاقة بين المواطنة و الأمة، إذ انقسمت الرؤية الإسلامية المعاصرة بشأنها ، مابين معارض لها؛ وآخر متقبل لها، طبقاً لاقتراب الاسس الفكرية للمواطنة من متبنيات الشريعة الإسلامية أو ابتعادها".

ولذا قسم البحث على مباحث ثلاثة: الأول منهما إطار نظري مفاهيمي عن مفهومي المواطنة والأمة، في حين ناقش المبحث الثاني إشكالية تعارض المواطنة والأمة في الفكر الإسلامي المعاصر، أما المبحث الثالث فقد ناقش عدم التعارض بين المواطنة والأمة في الفكر الإسلامي المعاصر.

المبحث الأول: إطار نظري مفاهيمي

عند البدء في دراسة أيّ ظاهرة سياسية واجتماعية ومنها دراسة المواطنة والأمة، يجب علينا أولاً تحديد المفاهيم، كما يؤكد ذلك المفكر الفرنسي " أيتين بالبيار" بقوله " إذا أردت ان تتحدث معي حدد مصطلحاتك"، إذ إن عنصر المفهوم يمثل عنصراً مهماً ومحورياً في كل دراسة ومنها دراسة العلاقة بين المواطنة والأمة، إذ إن البحث في مفهومي المواطنة والأمة ليس بالأمر الهين البتة لاختلاف وجهات نظر المفكرين والباحثين الإسلاميين بشأنهما، وذلك ما سنحاول تبيانه من خلال هذا المبحث الذي سيتضمن المحور الأول منه دراسة لمفهوم المواطنة، في حين سيتضمن المحور الثاني دراسة لمفهوم الأمة.

أولاً : مفهوم المواطنة

إن البحث في مفهوم المواطنة[2(*)] ليس بالأمر الهين البتة وذلك لتماهيها مع بعض المفاهيم [(*3)]من جهة، ولإختلاف وجهات نظر المفكرين والباحثين بشأنها من جهة أخرى, إذ

[2(*)] المواطنة في اللغة : مشتقة من الجذر (وطن) ، والوطن هو : المنزل الذي تقيم فيه ، وهو: موطن الإنسان، وجمعه أوطان، وأوطان الغنم والبقر : مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، ومواطن مكة: مواقفها، ووطن بالمكان وأوطن: أقام ، وأوطنه: إتخذه وطناً، والموطن : المشهد من مشاهد الحرب ، وأوطنت الأرض ووطنتها توطيناً واستوطنتها ، أي اتخذتها وطناً ، أما المواطن: فهو كل مقام قام به الإنسان لأمر، فهو موطن له ، كقولك إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن: فادعُ الله لي ولإخواني، ومنه الحديث: إنه نهى عن ايطان المساجد، أي اتخاذها وطناً، وواطنه على الأمر : أضمر فعله معه . للمزيد من التفاصيل ينظر: أبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، لسان العرب، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ج15، ط3 ، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د. ت، ص 338-339؛ وكذلك ينظر: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ، ج5، ط2، دار الأسوة للطباعة والنشر ، طهران، 1427 هـ ، ص 790-791 .

ينظر إليها كل مفكر وباحث من وجهة النظر الخاصة به , فهناك من ينظر إليها نظرة اجتماعية قانونية بحيث تُعرف المواطنة على أنَّها: "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة , وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"[4]، وفي الإطار نفسه فإنّ المواطنة تدل ضمناً على: مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات[5]، ويسلك باحث معاصر في تعريفه للمواطنة المسلك نفسه بالقول: أنّها "المكانة التي تيسر الحصول على الحقوق والقوى المرتبطة بها"[6]، وفي السياق ذاته يُعرف باحث آخر المواطنة على أنّها "مشاركة الأفراد في الحقوق والواجبات, وقد تعني: العلاقة بين الفرد والدولة, إذ يدين الأول بالولاء، والثاني بالحماية

---

3 (*) يتماهى مفهوم المواطنة مع عدة مفاهيم ، أبرزها مفهومي: الجنسية والهوية ، فالجنسية: هي رابطة أصلية بين الدولة والفرد يحكم القانون نشأتها وزوالها ويحدد آثارها، إذ تقوم في الأصل على فكرة : الولاء للدولة ، فتتميز عن غيرها من الروابط القانونية بطابعها السياسي، وتنشئها الدولة بإرادتها المنفردة ؛ فتحدد بتشريعاتها الوطنية الأسس والمعايير التي يتعين تطبيقها لتحديد الذي يُعدّ متمتعاً بها أو خارجاً عن دائرة مواطنيها ، فالجنسية: رابطة قانونية سياسية تربط شخصاً ما بدولته ، فهي رابطة سياسية قانونية بين الشخص والدولة تترتب عليها حقوق والتزامات متبادلة بينهما، كما : أنّها رابطة سياسية ؛ لأنّها تُعدّ أداة لتوزيع الأفراد جغرافياً بين الدول، إذ تجعل الشخص أحد أعضاء شعب الدولة، وبناءً على ما تقدم فان أركان الجنسية هي:
أ- الدولة: إذ لابد من وجود دولة قانونية ذات شخصية دولية لكي تعطي جنسية خاصة بها.
ب- شخص: إذ لكل شخص طبيعي أهلية التمتع بجنسية؛ لأن الإنسان يُعدّ من أشخاص القانون.
ج- رابطة قانونية سياسية بين الشخص والدولة لكي يتمتع بجنسيتها. للمزيد من التفاصيل ينظر كل من : ناظم عبد الواحد الجاسور, موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ط1, دار النهضة العربية ، بيروت , 2008 ، ص239؛ وعامر مصباح, معجم العلوم السياسية والعلاقات الدولية , ط1، دار الكتاب الحديث , القاهرة ، 2010 ، ص87-88 ؛ وكذلك ينظر كل من : بشار محمد الأسعد ، المركز القانوني للأجانب ، في : الموسوعة القانونية المتخصصة ، ج 7 ، ط1، د. ن، دمشق، 2011، ص84 ؛ محيي الدين قاسم، الجنسية المصرية وقضايا المواطنة : دراسة في العلاقة بين المفاهيم القانونية والاعتبارات السياسية ، في : أحمد النجار وآخرون، المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية : رؤى جديدة لعالم متغير ، تحرير: علا أبو زيد وهبة رؤوف عزت، مج1 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2005 ، ص 397 .
- أمّا الهوية : فهي عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره ؛ أي تحديد حالته الشخصية ، ومن السمات التي تميز بعض الأفراد من بعضٍ: الاسم والجنس والسن والمهنة والحالة الأسرية وما شابه ذلك ، إذ يرتبط مفهوم (الهوية) بتعارف جماعة معينة: أنها جماعة متجانسة، إثنياً أو محلياً أو مهنياً أو دينياً أو قومياً ، فهي وعي الذات ؛ والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي ، ويمكنها أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم وموقعهم في التاريخ ، وأنها: إحساس الإنسان ووعيه بالانتماء إلى مجتمع أو أمة أو جماعة . للمزيد من التفاصيل ينظر كل من: سالم لبيض، الهوية: (الإسلام، العروبة، التونسة)، ط1، مركز دراسات الوحدة= =العربية، بيروت، 2009، ص33؛ أحمد خورشيد النورجي، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990، ص247.
04 علي خليفة الكواري ، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية , في : علي خليفة الكواري وآخرون , المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية , ط1, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت , 2001 , ص30. وكذلك ينظر: إسماعيل الشطي ، الإسلاميون وحكم الدولة الحديثة، ط1،(مكتبة أفاق ، الكويت) (دار الأمان، الرباط) (منشورات ضفاف، بيروت) ، 2013، ص60 .
05 علي خليفة الكواري ، مصدر سبق ذكره, ص30.
06 علي ليلة, المجتمع المدني العربي: قضايا المواطنة وحقوق الإنسان , ط1 , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة ,2007, ص78.

" .[7] وهناك من ينظر إليها نظرة سياسية، إذ تعرف المواطنة عند (طارق البشري) على أنّها: "صفة للفرد الذي ينتمي إلى جماعة سياسية معينة ، تكون قد قامت على أساسها الدولة؛ أي هي: الصفة التي تتعلق بالفرد بما توفر فيه من وصف سياسي قامت الدولة على أساسه "[8]، في حين يذهب أحدهم لتعريفها بالقول هي عبارة عن "توزيع سياسي لأفراد المجتمع على قاعدة الاعتراف بمساواتهم جميعاً قبالة القانون وبتكافؤ حقوقهم تجاه الدولة على نحو لا تمييز فيه بينهم على أساس العرق أو المذهب أو الأصل الاجتماعي , ولا على أساس تحصيل أفراد المجتمع لعائدات ذلك التوزيع السياسي لهم"[9]، وفي السياق نفسه تذهب موسوعة السياسة لتعريفها على أنّها:"الحقوق التي يتمتع بها المواطن [*10]في نظام سياسي معين"[11]، ويعرفها باحثان غربيان على انها : "مجموع المواطنين الذين يملكون السيادة".[12]

وهناك من ينظر إليها نظرة قانونية خالصة, فيصفها على أنّها: "تمتع الشخص بحقوق وواجبات, وممارستها في بقعة جغرافية معينة تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلى حكم القانون"[13]، وفي السياق نفسه ينظر أحد الباحثين المعاصرين للمواطنة على أنّها: " إنتماء إلى تراب تحده حدود جغرافية، وكل من يعيش على ذلك التراب – مواطنين - ، مثلما عليهم واجبات لهم حقوق ، وذلك يتطلب إنصهار المواطنين جميعاً بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم وجذورهم العرقية في تلك الحدود الجغرافية المعلومة والمشتركة لهم، ومن ثم تنازلهم عن أي خصوصية لهم تتعارض مع ذلك المفهوم، وان حقوق المواطنين تصبح من مسؤولية الدولة والحكومة ، التي تكون وظيفتها الرئيسة: تأمين تلك الحقوق"[14]، وتنحو إحدى الباحثات

---

[07] صادق عباس الموسوي, الحركات الإسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة: حزب الله إنموذجاً, ط1, مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت, 2012, ص46.

[08] طارق البشري، التجدد الحضاري : دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة ، تقديم : نادية مصطفى، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، 2015 ، ص258 .

[09]أمين فرج شريف, المواطنة ودورها في تكامل المجتمعات التعددية, ط1,(دارالكتب القانونية, مصر)(دار شتات للنشر والبرمجيات, أبو ظبي)، 2012 , ص31. وكذلك ينظر: هاني فحص، الدولة المدنية على أساس المواطنة، مجلة يتفكرون، العدد1، ربيع،2013، ص136.

[10(*)] المواطن : مصطلح (المواطن) يعني: " الفرد تام العضوية في الدولة، والذي يتمتع بكافة الحقوق والمؤهلات الأصلية والمكتسبة، أو هو: " تعبير قانوني يشير إلى سكان دولة ما، ومنضوين تحت لوائها ، مؤمنين بالعيش والمشاركة في الوطن وتقرير مصيره ". للمزيد من التفاصيل ينظر : حازم مجيد أحمد الدوري، الهوية الوطنية مقابل الهوية الفرعية ، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل، العدد14، كانون الأول، 2013، ص304 .

[11]عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة ، ج6، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1993 ، ص373. وكذلك ينظر: شريف الدين بن دوبه، المواطنة: مفهومها- جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2019، ص14.

[12] دومنيك شنابر وكريستيان باشولييه، ما المواطنة ؟ ، ترجمة : سونيا محمود نجا ، ط1 ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2016، ص11 .

[13] سامح فوزي , المواطنة , ط1 , مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان, القاهرة , 2007, ص66.

[14] حازم مجيد أحمد الدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص304- 305 .

المعاصرات المنحى نفسه بالقول :"هي إحدى السمات التعريفية للمجتمع, وهي طريقة للتعبير عن المسؤوليات والامتيازات من قِبَلِ الذين ينتمون إلى جماعة قومية معينة".[15]

ومن ثمَّ فإنّ المواطنة هي" صفة سياسية قانونية اجتماعية في آنٍ واحد, إذ هي تعني الاشتراك على قدم المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات التي يفرضها الانتماء إلى مجتمع سياسي".

يتضح مما تقدم إنّ المواطنة تعني الاشتراك على قدم المساواة في الحقوق والواجبات التي يفرضها الانتماء لمجتمع سياسي، كما وأنَّها صفة للمواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه إنتمائه إلى الوطن، إذ يشكل مبدأ المواطنة البنية السياسية للنسيج الاجتماعي المتكامل بغض النظر عن اختلاف المواطنين، وتنوع إنتماءاتهم الدينية أو المذهبية أو القومية، فالدولة القائمة على أساس مبدأ المواطنة تكون بمثابة نظام تعاون عادل ومنصف بين المواطنين الأحرار، إذ تعتمد الدولة على أسس وقواعد تضمن لجميع المواطنين الحقوق والحريات الرئيسة بما يضمن بناء مجتمع على أساس من التكامل والتكافل بين جميع فئاته ومكوناته.

ثانياً: مفهوم الأمة[16] (*)

اختلفت الآراء وتعدّدت بشأن مفهوم الأمة- لتماهيها مع عدد من المفاهيم[17](*)-، إذ لا يوجد مفهوم جامع ومانع للأمة، شأنها في ذلك شأن الكثير من المفاهيم الإنسانية، إذ ينظر إليها كل فقيه

---

[15] بتول حسين علوان , المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر , ط1 , مكتب الغفران للخدمات الطباعية , بغداد , 2013, ص22.

[16] (*)الأمة في اللغة العربية مشتقة من مادة (أمم) التي هي جذر مفهوم الأمة، ولها معان عديدة أبرزها: أم الشي: أصله، والأم: الوالدة ، والعلم الذي يتبعه الجيش، ورئيس القوم، والجماعة، والطريقة، والدين، والجنس من الحيوان، والقامة، والنعمة والقصد، والإمام : خشبة البناء التي يسوى عليها البناء، والطريق، والذي يعتد به، والكتاب المبين.

ويبين لسان العرب أن الأم هو : القصد والتعمد والتوخي لشيء دون سواه، والدليل الهادي لانه قاصد، والإمة: الحالة، والإمة و الأمة: الشرعة والدين والطريقة والسنة المتبعة والنعمة والملك وأهل الدين، والنعمة والحال والشأن ونضارة العيش والنعمة والعيش الرضي، فالأمة ناظم" طريقة وسنة ودين ودليل هادٍ"من توخاه بمنظومة قصده" اتبع طريقه وصراطه المستقيم، ولم يتبع السبل المفرقة عن سبيله" تحددت به قامته وصبغته، وجنى ثمرته" النعمة والشأن والعيش الرضي والملك"، وهذا الناظم مرهون بمضامين مدخلاته، وهو ليس من الأمور التكوينية بل هو من الأمور التكليفية، وبالتالي فإنه عرضة للتجسد في الواقع بدرجة تقترب أو تبتعد من المثال. للمزيد من التفاصيل ينظر كل من: أبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، لسان العرب، ، ج15، مصدر سبق ذكره، ص 22-24؛ نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975، ص37-38؛ الشريف علي بن محمد الجرحاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص35.

[17](*) القومية يقصد بها"حركة أيديولوجية للحصول على الاستقلال الذاتي والوحدة والهوية والحفاظ عليها نيابةً عن سكان يعتقد بعض أفراد منهم أنهم يُكونون أمة فعلية أو محتملة"

ويعتقد دي سميث أننا نستطيع تحديد عقيدة رئيسة للقومية، أي مجموعة مبادئ عامة يتمسك بها القوميون، على النحو الآتي:

- **العالم مقسم إلى أمم، لكلٍّ منها تاريخها، ومصيرها وشخصيتها.**
- **الأمة هي المصدر الوحيد للسلطة السياسية.**
- **من أجل الحرية لابد أن ينتمي كل فرد إلى الأمة ويمنحها ولاءً أساسياً.**
- **يجب أن تمتلك الأمم أقصى قدرٍ من الاستقلال الذاتي والتعبير عن الذات.**

وباحث من وجهة النظر الخاصة به، فهناك من ينظر إليها نظرة اجتماعية قانونية، إذ تعرف موسوعة السياسة الأمة على انها:"مجموعة بشرية تكون تآلفها وتجانسها القومي عبر مراحل تأريخية تحققت خلالها لغة مشتركة وتأريخ وتراث ثقافي ومعنوي وتكوين نفسي مشترك والعيش على أرض واحدة ومصالح اقتصادية مشتركة مما يؤدي إلى احساس بشخصية قومية، وتطلعات ومصالح قومية، موحدة ومستقلة"[18]، وفي الإطار ذاته يعرف باحث معاصر الأمة بالقول هي: "مجموعة من الناس الذين يشتركون في تقليد تاريخي وثقافي مرتبط عادةً بمنطقة جغرافية محددة تزود المجموعة بهوية إزاء مجموعات أخرى، وتحفز فكرة الأمة الادعاءات بالحق في تنظيم سياسي مشترك للمجموعة إذا لم يكن ذلك قائماً فعلاً، وتعدَّ قوة دمج إذا كانت الأمة تمتلك منظمتها الحكومية الخاصة بها" .[19]

ويسلك باحث قانوني المسلك نفسه بالقول هي:" روح أو مبدأ روحي لها أهداف مشتركة تعمل على تحقيقها، وهي ليست ظاهرة إرادية نفسية فحسب، وإنّما هي تأريخية أيضاً لكونها تعبيراً عن وجدان قومي؛ كونه التأريخ تدريجياً؛ أي إنّ الأمة رسالة، وهناك اعتبارات موضوعية لقيام الأمة، أهمها:(العنصر واللغة والدين والثقافة والإقليم والعادات)، أو اعتبارات شخصية قوامها إرادة المعيشة المشتركة؛ أي إن الأمة تكون بوجود رغبة مشتركة وتجانس نفسي وشعور بالتضامن بين أفراد الأمة[20].[21](*)

- **العالم العادل والسلمي يجب ان يكون قائماً على تعدديةٍ من الأمم الحرة.**

للمزيد من التفاصيل ينظر: أنتوني دي سميث، الأسس الثقافية للأمم : الهرمية والعهد والجمهورية، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: سارة عادل وهبة عبد المولى أحمد، ط1، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة ، 2012، ص38-39.=

– =الدولة: يعرف هانز آدم الثاني الدولة بأنها "منطقة جغرافية محددة المعالم إلى حد ما وافقت غالبية سكانها على سلطة مركزية، أو أنها أجبرت على قبول سلطة ما مدّة طويلة من الزمن"، في حين يذهب سعد الدين إبراهيم في تعريف الدولة إلى أنها "كيان سياسي – قانوني – ذو سلطة معترف بها في رقعة جغرافية محدودة على مجموعة بشرية معينة"، أما سعاد الشرقاوي فتعرف الدولة بأنها "تجمع بشري مرتبط بإقليم محدد يسوده نظام اجتماعي وقانوني موجه لمصلحته المشتركة، تسهر على المحافظة على هذا المجتمع سلطة مزودة بقدرات تمكنها من فرض النظام ومعاقبة من يهدده بالقوة". للمزيد من التفاصيل ينظر: هانز آدم الثاني، الدولة في الألفية الثالثة، ترجمة: حسان البستاني ، ط1 ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010 ، ص31؛ سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1996، ص41؛ سعاد الشرقاوي،النظم السياسية في العالم المعاصر،ط1،د.ن،القاهرة، 2007، ص11.

[18] عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة ، ج1، مصدر سبق ذكره، ص305-306.

[19] عامر مصباح، مصدر سبق ذكره، ص30.

[20](*) اعتبرت الدراسات الغربية أن الأمة تأتي حصيلة تفاعُل نوعَيْن من العوامل:الأولى موضوعية؛ مثل اللغة، والتاريخ، والجنس الواحد، والإقليم الواحد، والمصالح المشتركة، والآمال الواحدة، والعادات والتقاليد الواحدة، والثقافة الواحدة... إلخ.الثانية: عوامل ذاتية؛ وعي الأفراد بأن لهم شخصية متميزة ومنفصلة تدفعهم إلى التعبير التنظيمي عن هذه الشخصية المتميزة، واعتبرت هذه الدارسات أن تفاعُل النوعَيْن من العوامل سيؤدي إلى تكوين أمة ذات أداء حضاري مشترك وذات وحدة سياسية، وقد أعطى المفكرون الألمان عنصري اللغة والتاريخ الأهمية القصوى في تشكيل الأمة، في حين أعطى المفكرون الفرنسيون العامل التراثي الدور الأول في تشكيل= =الأمة، واعتبروا أن الدولة هي العنصر الأهم في تحقيق ذلك، فوحدة الأمة وشخصيتها مستمَدَّة من التنظيم السياسي؛ لذلك فإن الدولة سابقة على الأمة، وهي سبب وجودها، والعكس غير صحيح، لذلك هاجم المستشرق الفرنسي رينان عام 1882م عاملي اللغة والتاريخ في محاضرته الشهيرة: ما الأمة؟ فأكَّدَ أن اللغة المشتركة مثلها مثل الأصل الواحد أو الدين أو المصالح كلها غير كافية بذاتها لتكوين أمة، فهي عوامل مساعدةٌ للمعيار الأهم وهو وحدة التراث، فالتاريخُ المشترك أهم عوامل التقريب بين الأفراد وتوليد الرغبة في الحياة المشتركة؛

ويعرفها باحث آخر بالقول هي: "مجموعة تاريخية من الناس الذين يتكلمون لغة مشتركة ولهم تاريخ مشترك، وتراث ثقافي ونفسي ومصالح مشتركة".[22]
وينحو القاموس السياسي المنحى نفسه في تعريفه لمفهوم الأمة بوصفها: "جماعة من البشر، مستقرة في اقليم وترتبط بوحدة الأصل أو اللغة أو العقيدة".[23]
ويقترب (رشيد رضا) من ذلك الوصف بالقول هي:"مجموع أفراد من عنصر واحد، ولغة واحدة، وحضارة واحدة، أُولي إرث تأريخي شامل عام، وشعور بإرادة تأليف جماعة سياسية واحدة".[24]

وفي السياق نفسه يعرف (محمد عمارة) الأمة بالقول هي:"جماعة من الناس تجمعهم عناصر مشتركة، كوحدة الأصل واللغة والعقيدة والتراث الفكري، مما يجعلهم وحدة حضارية واحدة، ويخلق عندهم شعوراً بالانتماء إلى تلك الوحدة وتعلقها بها، والأمة حقيقة اجتماعية وحضارية خلافاً للدولة التي تعتبر وحدة سياسية وقانونية"[25]. وهناك من ينظر لها نظرة عقائدية، فيصفها محمد حسين فضل الله على أنها "الجماعة المسلمة التي تتبنى خط الدعوة إلى أهداف الإسلام، دون أن يكون وصفاً للمصطلح الذي يتسع لتحدد المعنى للأمة على أساس القومية الشاملة، مما يوحي به المعنى الاجتماعي والسياسي للكلمة".[26]
وفي السياق نفسه يعرف(رشيد رضا) الأمة على أنها: "الجماعة المؤلفة من أفرادٍ لهم رابطة تضمهم، ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص؛ سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، ويختلف هذا الرابط باختلاف مفهوم الأمة، فأمة الإسلام تربطها عقيدة الإسلام.[27]"

وفي الإطار نفسه يرى (محمد مهدي شمس الدين) إنّ هناك مفهومين للأمة في الفكر الإسلامي – أحدهما الأمة القائمة على التوحد في الانتماء الديني، وتلك يمكن أن تتوحد في التكوين السياسي، ويمكن أن تتعدد في ذلك التكوين أيضاً، وثانيهما الأمة القائمة على التوحد في الانتماء إلى مشروع سياسي واحد، وكيان سياسي واحد، ويمكن أن تتوحد في الانتماء الديني، ويمكن أن تتنوع في ذلك الانتماء[28]، وتبعاً لذلك يعرفها على انها:"مصطلح سياسي اجتماعي له

فتنشأ الأمة التي يكون لها الولاء الأول. للمزيد من التفاصيل ينظر: مجموعة باحثين، موسوعة العلوم السياسية، منشورات جامعةالكويت، الكويت، د.ت، ص405.

21 (عصام العطية ، القانون الدولي العام ، مكتبة السنهوري ، بغداد ، 2008 ، ص301.

22)ناظم عبد الواحد الجاسور ، مصدر سبق ذكره، ص118.

23 (أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص151-152.

24(محمد رشيد رضا، مجلة المنار، العدد23، القاهرة، ص441.

25 (محمد عمارة، مفهوم الأمة في حضارة الإسلام ، في: مجموعة باحثين، مفهوم الأمة ومقومات الوحدة الإسلامية، المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر، 1993، ص28-32.

26)نقلاً عن: نزار محمد جودة الميالي ، الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله ، ط1 ، مركز ابن أدريس الحلي للتنمية الفقهية والثقافية ، بيروت ، 2011، ص209.

27)محمد رشيد رضا، مجلة المنار، العدد4، القاهرة، ص30.

28 (محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، 1991، ص537.

مضمون واحد، أو كيان واحد بمعنى من معاني التوحيد، وهو لا يتنافى مع التنوع أبداً حتى على صعيد تعدد الأئمة".[29]

ومهما يكن من أمر فإن الأمة في الرؤية الإسلامية وبالذات في النص القراني[30(*)]، ليست الأمة القائمة على وحدة النسب أو التأريخ أو اللغة أو المصلحة الاقتصادية الخ، كما هي في المفهوم الحديث، وإنما الأمة القائمة على وحدة الاعتقاد، أي على وحدة الدين، سواء أتخذت شكل كيان سياسي أم لم تتخذ هذا الشكل، ولا نحسب أننا بحاجة للتدليل على هذه الحقيقة من حقائق الإسلام، إذ يكفي مراجعة الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة أمة لنرى أنها في معظم هذه الموارد تعني "جماعة تربطها علاقات دينية واحدة تساهم في وحدة الهمّ الاجتماعي والحقوقي والسياسي والاقتصادي والاخلاقي بين افراد المجتمع .[31]"

ومن ثَمَّ فان مفهوم الأمة القراني هذا لا يلتقي مع التصور الحداثي للأمم[32(*)]والدول، هذا الاخير الذي ألغى التمييز القائم على أساس الدين لصالح التمييز القائم على أساس الانتماء إلى مجتمع سياسي قائم بدوره على وحدة الدولة بمعناها الحديث.

ويتضح مما تقدم إن الأمة هي جماعة من الناس تنتمي إلى أصل عرقي واحد أو يشتركون في دين أو حضارة واحدة، مستقرين في اقليم معين ولهم تأريخ مشترك وتراث ثقافي مشترك ولغةً مشتركة وتجمعهم مصالح كبرى.

المبحث الثاني: تعارض المواطنة و الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر

يؤمن بهذا الموقف القائلين بشمول الأمة للشعوب من مِلَّة الإسلام، أي الأمة بحسب الدين، وهو ما يتعارض مع المواطنة التي تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات، فمفهوم الأمة في الإسلام يتعلق بـ(الرابطة الأخوية الدينية بين المؤمنين)، وهي رابطة طوعية إختيارية، ينطلق منها مفهوم (الجماعة)، بِعدّها رابطة تضامنية تقضي الالتزام بالقيم والشرائع الإسلامية

---

[29] (محمد مهدي شمس الدين، دراسات ومواقف: في الدين والسياسة والمجتمع، ج3، ط1، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر-المؤسسة الجامعية، بيروت، 1993، ص253.

[30(*)] قد ورد مصطلح الأمة في القران الكريم بالمفرد أمة وبالجمع أمم في 62 موقعاً، وبمعانٍ ودلالات مختلفة، ويرى باحث معاصر أن الأمة في القران الكريم هي" مجتمع عالمي، تتسع العضوية فيه لتشمل أقصى درجة متصورة من التنوع في الاعراق أو الجماعات، ولكن التزامهم بالإسلام يربط بينهم بنظام اجتماعي معين". للمزيد من التفاصيل ينظر كل من: إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد ومضامينه في الفكر و الحياة، ترجمة: السيد عمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 2016، ص237؛ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، ط1، دار الفكر، بيروت، 2000، ص102-103.

[31] سيد حسين نصر، قلب الإسلام، ترجمة: داخل الحمداني، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2009، ص171-219.

[32(*)] يرى التصور الحداثي للأمة أنها الشكل السياسي الرئيس للمجتمع البشري الحديث، وبالنسبة إلى معظم الحداثيين، فإن الأمة يجب ان تتصف بمايلي:

1. **إقليم واضح المعالم، ذو مركز ثابت وحدود مرسومة بوضوح ومراقبة.**
2. **نظام قانوني موحد، ومؤسسات قانونية مشتركة داخل إقليم معين، تخلق مجتمعاً قانونياً وسياسياً.**
3. **مشاركة من قبل كل الاعضاء أو المواطنين في الحياة الاجتماعية وسياسات الأمة.**
4. **ثقافة عامة جماهيرية تُنشر من خلال نظام تعليمي جماعي موحد عام.**
5. **حكم ذاتي جماعي راسخ في دولة إقليمية ذات سيادة لأمة معينة.**
6. **عضوية الأمة في نظام " دولي" لمجتمع الأمم.**
7. **إقرار شرعية الأمة، إن لم يكن خلقها، من خلال أيديولوجية القومية. للمزيد من التفاصيل ينظر: أنتوني دي سميث، مصدر سبق ذكره، ص35.**

وتجسيدها على واقع الحياة، وهي بذلك تختلف عن الرابطة الوطنية، التي هي رابطة تعاقدية ليس لها محتوى سبق أن تم التعاقد عليه، وهي وان كانت طوعية نظرياً إلاّ أنّها أمست إجبارية بمرور الوقت، إذ يولد الفرد مرتبطاً بهوية وطنية معينة يصعب استبدالها[33]، ومن ثمَّ فأن مفهوم المواطنة يتعارض مع مفهوم الأمة المبني على أساس وحدة الانتماء إلى الدين الإسلامي، فحينما يكون المجتمع متجانساً في إنتمائه الديني، فإنّ مفهوم (الأمة) ومفهومي الدولة والمجتمع يأخذون معنىً واحداً، وحينما يكون المجتمع غير متجانس في تركيبته الدينية، فإنّ مفهوم (الأمة) ومفهومي الدولة والمجتمع لا يتحدون في المعنى، فيتولد كيان سياسي"الدولة والمجتمع" يضم في تركيبته أمماً متعددة بتعدد انتماءات افراد المجتمع الدينية، وذلك ما تعنيه المواطنة ، ومِن ثمَّ فهي تتعارض مع الأمة ، ولذا فإنّ الكثير من الإسلاميين يرفضون المواطنة لذلك السبب. [34]

وفي السياق نفسه يؤكد (محمد حسين فضل الله) على أن المواطنة في الفكر الإسلامي" تقوم على أساس العضوية في الأمة"، وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً[*35]﴾، إذ يشدد فضل الله على خضوع المجتمع الإسلامي إلى دائرة الوحدة الرسالية ضمن خط التوحيد، إذ يجب إقامة الوحدة الرسالية على ذلك الأساس، فهي تشكل المرتكز والمنطلق للمجتمع الإسلامي مع مراعاة الوحدات الإنسانية، أي أن مفهوم الأمة عند فضل الله قائم على" أساس الوحدة العقائدية والفكرية دون وصف للتكوين العضوي واللغوي والتاريخي للشخصية الإسلامية[36]"، إذ ذهب بعض الباحثين الإسلاميين الذين يؤكدون على أنّ الأمة تعارض المواطنة إلى البحث عن مواطنة دينية - على حد قولهم – أي بمعنى توسل الدين في الحقوق والواجبات ومجمل القانون الذي ينبغي أن يتساوى قُبالته المواطنون في إجتماع سياسي (دولة)، سواء تماهى الانتماء الديني والانتماء السياسي كلياً أو جزئياً، والثابت الديني العقائدي والقيمي لدى المسلم في مسألة المواطنة بمنظور الأمة يفترض : [37]

1- أخذه بمفهوم المواطنة الدينية – كما بينا اعلاه - أي توسل الدين في تحديد حقوق وواجبات المواطنين والمساواة فيما بينهم .

2- تطلعه إلى قيام مستوى أو آخر من كيان سياسي يوحد الأمة بمعناها الديني على الرغم من تعدد انتماءات أبنائها : القومية واللغوية، وبعض الانتماءات الثقافية، وغيرها.

ويتركز العداء لمفهوم المواطنة إسلامياً، وعدم توافقها مع مفهوم الأمة – حسب أنصار هذا التيار- على أمور عدة، منها:

---

[33] صادق عباس الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص66.

[34] محمد حسن دخيل، الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ، ط1 ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، 2014 ، ص128.

[35] (*) سورة المؤمنون: الآية (52).

[36] محمد حسين فضل الله، من وحي القران ، مج16 ، ط2 ، دار الملاك للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998، ص161.

[37] علي يوسف، المسلمون بين المواطنة السياسية والمواطنة الدينية ، ط1 ، دار المعارف الحكمية ، بيروت ، 2013، ص67.

أولاً : تمزيق وحدة المسلمين

إن أمة الإسلام لا حدود لها ولا وطن لها إنطلاقاً من: " مبدأ أن الأرض أينما كانت، وكيفما امتدت هي أرض الله، والاستحقاق السياسي للكيان الإسلامي هو الأرض كلها، فيحق للدولة الإسلامية إخضاع جميع أراضي العالم لها [38]"، والمسلمون يأوون إلى ديار خاصة بهم سمّوها في أدبياتهم الإسلامية" دار الإسلام " ، وتقابل دار مضادة لها تسمى "دار الكفر" ، والتي يجب أن تكون محوراً للدعوة الإسلامية ، وإلاّ أصبحت تلك الدار " دار حرب" ، فأينما أقام المسلمون سواء كانوا – أغلبية أم أقلية- فهم ينتمون إلى أمة عقائدية واحدة هي: " أمة الإسلام "، والتي لا حدود لها ، فمسلمو" الأويغور" [39*]في الصين مثلاً ينتمون إلى الأمة الإسلامية قبل انتمائهم إلى بلاد الصين ، في حين إنّنا وبأقل تفحص يمكن معرفة أن المواطنة تُضر بالوحدة الفكرية والسياسية للمسلمين، فالدولة الإسلامية التي طالما اندمجت مع المجتمع الإسلامي، تواجه تحدي التقسيم عن طريق مفهوم المواطنة ، إذ تحاول المواطنة تعميق الهوة بين الدول التي تقاسمت الأمة الإسلامية ، وهذه الاخيرة لها وحدة عقيدة ، وعلى ذلك فإنّ فكرة الأمة التي تفترض وحدة الإسلام قلباً وقالباً، والتي إمتدح بها القرآن الكريم المسلمين، تتزلزل قُبالة تفككها إلى أوطان متعددة، وقد كان السبب الرئيس في ذلك تلك الأفكار الدخيلة التي أضعفت الأمة ومنها المواطنة – على حد تعبير انصار هذا التيار-. [40]

ثانياً: إبعاد الإسلام عن الحكم

يتذرع أدعياء المواطنة على أن قيامها يتطلب مبدأين هما" الأول: هو أرضية مواطنة؛ والآخر هو: أرضية لفصل المواطنة عن الإيمان الديني، ولأنه لا يمكن تحويل حرية العقل إلى الآخرين، فمن المستحيل منح حكومة سلطة أو حق إجبار العقول على الإيمان بمعتقد لم تقتنع به"، ومن ذلك المنطلق الداعي إلى جعل الدين محايداً برزت مواجهة عميقة ضد مفهوم المواطنة، فالإسلاميون يعّدون أنَّ الإسلام لا يجبر أحداً على اعتناق دين آخر لم يؤمن به الإنسان إيماناً خالصاً، وذلك تبعاً لقول الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ[41*]﴾، ومِن ثمَّ فإنَّ إشكالية فرض المواطنة مُلغاة في الإسلام ، وعليه فلا ضير بأن يكون الإسلام حاكماً بِعدّه دين للدنيا والآخرة, ولذلك فلا مكان للمواطنة في المجتمع الإسلامي – حسب انصار ذلك التيار – وإذا ما أُريد

38() أحمد أبو زيد، محمد باقر الصدر: السيرة والمسيرة ، نقلاً عن: صادق عباس الموسوي ، مصدر سبق ذكره، ص66-67.

39(*) الأويغور: تعني الاتحاد ، وهم شعوب تركية يشكلون واحدة من (56) عرقية في جمهورية الصين الشعبية، يتركزون بشكل عام في منطقة تركستان الشرقية ، وهي ذاتية الحكم كما تعرف بأسم (شينجيانغ) تعادل مساحتها (6/1) من مساحة الصين، كما يكونون موجودين في بعض مناطق جنوب ووسط الصين ، وكان الاويغور يعتنقون عدداً من الديانات على غرار البوذية والنصطورية (المسيحية) والزرادشتية إلى حدود القرن العاشر الميلادي، إذ دخلوا في الإسلام ومن أبرز قادة الأويغور(يوسف خاص حاجب؛ وربيعة قدير؛ ومحمود الكاشغري؛ وأحمد جان قاسم). للمزيد من التفاصيل ينظر: أويغور، ويكبيديا، على الموقع الألكتروني الآتي : www.wikipedia.org، في 10/ 12/ 2015.

40() صادق عباس الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص67-68.

41(*) سورة البقرة ، الآية (256).

تطبيقها فعلياً، فعليها التماهي مع فكر الإسلام، ومِن ثمَّ يكون هناك مواطنة إسلامية [42]، وفي الاطار نفسه يشدد (سيد قطب) على أنّ النظام الإسلامي يكفل للجميع حرية الاعتقاد تامة، إذ لا يمس الاقليات الدينية في عقيدتها، ولا في عبادتها ولا في أحوالها الشخصية ، فهي تجري على وفق عقيدة كل أقلية من دون تدخل الدولة إلاّ في حدود الحماية المفروضة لجميع تلك الأديان، شأنها شأن العقيدة الإسلامية في ذلك النظام، أما التشريعات التي تحكم المجتمع وتحدد علاقاته الخارجية ، فالذي يحتمه الإسلام أن تكون على وفق الشريعة الإسلامية، ولا تختلف الأقليات في ذلك من ناحية الشريعة، إذ إنّ "أي تشريع آخر ينظم الحياة الاجتماعية، فهو تشريع جنائي ومدني وتجاري ودولي قائم على أسس أخلاقية ترتضيها جميع الديانات، وهو من تلك الناحية أقرب إلى روح المسيحية .[43]"

والجدير بالملاحظة ان إشكالية التعارض بين المواطنة والأمة برزت بجلاء عند الجانب السُني منذ عقود طويلة، في حين أنّها بدأت تظهر في مطلع القرن المنصرم عند الجانب الشيعي لدى عدد من المفكرين، ابرزهم الميرزا محمد حسين النائيني ومحمد حسين كاشف الغطاء، وغيره من المفكرين والعلماء الإسلاميين.

ولذا فان الأمة -حسب أنصار هذا التيار- هي التي تقوم على وحدة العقيدة الدينية، ويكون الانتماء للدين الإسلامي على حساب الانتماء للوطن، وهذا المفهوم يتقاطع مع ما تذهب إليه المواطنة.

والجدير بالذكر ان هذا التيار الفكري شهد انحساراً في العقود الاخيرة بسبب عدم ملائمة أطروحاته للواقع المُعاش، مما حرى بعدد من المفكرين والباحثين الإسلاميين المعاصرين إلى رفض أطروحات هذا التيار، والتعامل مع القضية بواقعية ومرونة اكبر تتلائم مع الواقع المعُاش .

المبحث الثالث: عدم التعارض بين المواطنة و الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر

لقد بحث الكثير من المفكرين الإسلاميين عن جذور إسلامية لمفهوم المواطنة؛ فوجد بعضهم ذلك في حلف الفضول – الذي قام بين قبائل قريش- قبل بعثة الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فضلاً عن وثيقة " صحيفة " المدينة [*44]بين المسلمين ويهود المدينة بعد

42() نقلاً عن: صادق عباس الموسوي، ص68-69.

43() سيد قطب، المواطنة والدولة الدينية، الشبكة الدعوية، على الموقع الإلكتروني الآتي: www.daawa.com في 2015/12/3.

44(*) لعل وثيقة " صحيفة " المدينة التي عقدت بين المسلمين وغير المسلمين كانت بمثابة دستور للمدينة ، ومثلت خطوة رئيسة في بلورة مبدأ المواطنة في الإسلام ، فبموجب ذلك الميثاق تم الاعتراف بالحقوق التامة لغير المسلمين وضمان حريتهم وعدم المساس بكرامتهم ، ولعل وثيقة المدينة تعدَّ عقداً فريداً من نوعه ، إذ انطلق من دين إلى تنظيم دولة ؛ ومن جماعة إلى تكوين شعب ، واستطاع احتواء التنوع والاختلاف الذي كان سمة مميزة لأهل المدينة ، فضلاً عن اتخاذه خطوة لتهميش الرابطة القبلية ، واستبدالها برابطة العقيدة دون النظر إلى العنصر والأصل، والتي كانت ذات شأن مهم للغاية حينذاك ، ولذلك الغرض سن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الصحيفة لتنظيم هذا المجتمع المتعدد على أساس الاعتراف به "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"، وعلى الرغم من أن تلك الصحيفة قد تضمنت ما يحتاجه ذلك المجتمع من مبادئ وقواعد تنظيمية ، فهي تبقى مفتوحة للبناء عليها والتوسع فيها حسب ما يطرأ من تعقيدات، كما أنّها مثلت في الوقت نفسه سابقة مهمة على أكثر من صعيد:
- تقرير مبدأ : أن المسلمين " أمة واحدة من دون الناس " .

الهجرة ، وفي صلح الحديبية بين أهل الإسلام وأهل الشرك من قريش، كما استدلوا أيضاً عليها بمروَيات عن الرسول الكريم في حب الوطن والدفاع عنه والذود من أجله، مثل: "حب الوطن من الإيمان"[45]، فضلاً عن أنهم حاولوا أن يركزوا في مرتكزات المواطنة بمعنى أوسع، إذ ترتكز المواطنة على مجموعة قيم كالمساواة والعدل والحرية والعدالة، وهي قيم تشكل رُكناً

- دولة الإسلام مفتوحة لمن يلتحق بها ، ويجاهد مع أهلها .
- المواطنة والولاء للدولة أساس الحقوق والواجبات ، والمواطنة بمعنى حمل جنسية الدولة الإسلامية ، وهذه المواطنة خولت لغير المسلم مهما كانت ديانته ، ان يكون جزءً من الأمة الإسلامية ، شأن قبيلة بني عوف اليهودية " وان يهود بني عوف مع المؤمنين , ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم ".
- إقرار مبدأ المساواة بين المواطنين دون تمييز ، ومن ذلك نصرة المظلوم أيا كانت ديانته وقرابته ، " وان النصر للمظلوم ".
- الدفاع عن المدينة واجب على كل المواطنين ، والجميع يد واحدة على من حارب تلك الصحيفة ، " وان بينهم النصر على من دهم يثرب " ، وان اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين ، فضلاً عن ذلك نصت الصحيفة على قيادة النبي للأمة ، ورئاسته للدولة ، ومرجعيته لهما ، في فقرات عدة ، منها :
أ– "هذا كتاب من محمد النبي للأمة ، رسول الله ، بين المؤمنين والمسلمين ...." ، والكتاب منه وهو الذي يمثل السلطة التي قررته ووضعته دستوراً " لأهل الصحيفة " من مسلمين ويهود وغيرهما .
ب – " وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مرده إلى الله والى محمد ...." . وقد جاءت تلك الفقرة في نهاية الفصل الخاص بتنظيم علاقات المسلمين فيما بينهم ، وعلاقة الفرد والأسرة والعشيرة بمجموع الأمة ، ونص الفقرة صريح في العموم لكل ما يقع فيه خلاف من شؤون شخصية وعامة ، كما إنّه صريح في كون النبي قائداً ورئيساً ومرجعاً للأمة .
ج – " وانه ما كان بين أهل تلك (الصحيفة) من حدث ، أو اشتجار يخاف فساده ، فإنّ مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأنّ الله على أتقى ما في تلك (الصحيفة) وأبره ..." . وقد جاءت تلك الفقرة في آواخر ما يمكن عدهُ " أحكاماً عامة " للمجتمع السياسي المكون من المسلمين واليهود ، وقد عدُ النبي فيها مرجعاً في كل حدث أمني أو خلاف سياسي.
د – " وأنه لا يخرج منهم أحد إلاّ بإذن محمد ..." . ذكرت تلك الفقرة في آخر الفصل الخاص بتنظيم علاقات اليهود مع المسلمين ، وهي صريحة في أن مركز السلطة هو الرسول الكريم ، فإليه أمر الإذن في تنقل الأشخاص والجماعات والمنع منه ، وعليه فان دراسة نصوص وثيقة المدينة تفيد أن المواطنة لا تساوق الانتماء الديني دائماً ، بل يمكن أن تفترق عنه ، حين يكون المجتمع السياسي مكوناً من فئات ذات انتماء ديني= =متنوع، فقد تتساوق المواطنة مع الانتماء الديني حين يكون المجتمع السياسي كله ذات انتماء ديني واحد ، فيتحد في الخارج المعاش مفهوم (الأمة) مع مفهوم الوطن والدولة والمواطنة ، وقد لا تتحد تلك المفاهيم في مصداق واحد ، فتكون أمتان – في الانتماء الديني ، في وطن واحد ، ومجتمع سياسي واحد ، ودولة واحدة ، ويمكن القول كما يبدو من نصوص الصحيفة : – أن تتكون " أمة واحدة" بالمعنى السياسي التنظيمي، تشكل مجتمعاً سياسياً واحداً ، وهي مكونة من " أمتين " من حيث الانتماء الديني . للمزيد من التفاصيل ينظر كل من : محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص532-536 ؛ راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام ، ط1، (الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت) (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة)، 2012 ، ص184-186؛ وايضاً ينظر : إحسان الأمين، مبادئ الإصلاح السياسي في الإسلام ، في : صلاح الجابري وآخرون ، الإصلاح الديني والسياسي : إعادة قراءة النص الديني والممارسة الدينية ، ط1 ، (دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق) (مكتبة عدنان ، بغداد) ، 2011 ، ص95-96 ؛ سيف الدين عبد الفتاح ، الشريعة الإسلامية والمواطنة: نحو تأسيس الجماعة الوطنية، في: فهمي هويدي وآخرون ، المواطنة في مواجهة الطائفية ، تحرير : عمرو الشوبكي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ، 2009 ، ص33-44.
045 بتول فاروق محمد علي, الأقليات وأحكامها في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة , ط1، معهد المعلمين للدراسات العليا، النجف , 2009 ، ص49-50.

حيوياً في الإسلام، فضلاً عن قيم التسامح والتراحم والتعاون ، إذ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ(*46)﴾، ويقول الرسول الكريم (كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته)47(48)(*)، ويحاول (علال الفاسي (أن يبحث عن مرادف لمفهوم المواطنة الحديث في القاموس الإسلامي فيعثر عليه في مفهوم (التكليف) ، إذ يرى الفاسي إنّ الإسلام يعدَّ كل فرد مكلفاً للقيام بواجباته تجاه الله وتجاه المجتمع وتجاه نفسه أيضاً وتجاه الإنسانية جمعاء، والحقوق التي يتحصل عليها الفرد، إنّما يتحصل عليها عن طريق القيام بالواجبات تلك، وعليه فإنّ التكليف في العُرف الإسلامي يقوم مقام المواطنة في العرف الديمقراطي الحديث، وفي السياق نفسه نسج (يوسف القرضاوي) محاولته لبناء الدولة، والارتباط بين الناخب في القاموس السياسي الديمقراطي الحديث، وبين الشاهد في القاموس الإسلامي(49)، وفي الإطار ذاته يعتقد(محمد مهدي شمس الدين) ان "المواطنة من الممكن ان تتساوى مع الانتماء الديني، ولاسيما حين يكون المجتمع السياسي كله ذا انتماء ديني واحد، فيتحد في الخارج المُعاش مفهوم الأمة مع مفاهيم الوطن والدولة والمواطنة"(50)، والجدير بالذكر أنّ أولئك لم يتطرقوا أو لم يلتفتوا إلى مخالفة المواطنة للشريعة الإسلامية ، أو انهم فعلوا ذلك، ولكنهم وجدوا في العلمانية مفهوم لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية بِعدّ القوانين مجموعة من الأمور التنظيمية التي تتغير باختلاف الوقت والزمن أو رأوا أنّ الشريعة تساوي بين الأفراد مثلها مثل المواطنة.

وقد أسهب الكثير من المفكرين في تحليل ما اطلق عليه بـ" فقه المشاركة " أي المواطنة بمضامينها الإسلامية والتي تقوم على: (51)

1- تكافؤ الفرص لكل الأجناس المنخرطين في الإسلام، إنطلاقاً من قول الرسول الكريم(لا فضل لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى)52 .(*)

2- المساواة والاعتراف بالآخر إنطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ. (*53)﴾

46() سورة المائدة: الآية(2).

47 (*)أخرجه البخاري ح(2554)؛ ومسلم ح(1829)؛ والترمذي ح(1705)؛ وأبو داود ح(2928) ؛ وأحمد في مسنده ح(5167)؛ والنسائي في السنن الكبرى ح (9173).

48() صادق عباس الموسوي ، مصدر سبق ذكره، ص71.

49() عبد الإله بلقزيز, الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر , ط2، ، مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ، 2004، ص183.

50 (محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص535. وكذلك ينظر: حسين رحال، المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر: الشيخ محمد مهدي شمس الدين نموذجاً، في: بولس عاصي وآخرون، المواطنة و الدولة: مقاربات وإتجاهات، ط1، منتدى الفكر اللبناني، بيروت، 2010، ص122-123.

51() صادق عباس الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص71-72.

52 أخرجه أحمد في المسند، ح23536؛ والالباني في كتابه شرح الطحاوية، ص (*).361

53(*) سورة النحل: الآية(90).

3- مشاركة المسلم للخلفاء أو الولاة في مهمة إصلاح المجتمع ، وتقويم الاعوجاج الذي فيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبعاً لقول رسول الله (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنّ لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[54] .(*)

وعليه فإذا كانت المواطنة بمفهومها الغربي يقصد بها: تحديد لتلك المبادئ الثلاثة اعلاه، والتي تتقارب مع الخطوط العريضة للشريعة الإسلامية، فيكون الانتقال من "فقه المشاركة" إلى تبني "المواطنة" يسيراً –على حد تعبير انصار هذا الرأي- ، وفي السياق نفسه يحاول (محمد حسين فضل الله) أن يوائم بين أصالة المواطنة الدينية (الإسلامية)، وإعطائها دورا حركياً يتلاءم والمعطيات الحديثة الناجمة عن مفهوم حق التجنس؛ أي جعل المواطنة حقاً سياسياً قائماً على الانتماء لبقعة جغرافية معينة تحدد شروطه ؛ أي شروط ذلك الحق على وفق القانون الدستوري ووفقاً لمعطيات الواقع الاجتماعي والمتغيرات السياسية التي تتمايز بين نظام وآخر[55]، إذ نرى إنّ (محمد حسين فضل الله) عندما يتحدث عن مفهوم الوطن يتجلى لديه بدلالة سياسية محددة قائمة على أساس بقعة جغرافية (إقليم) تجمع أفراد موحدين في الأوضاع الأمنية والاقتصادية، أو متنوعين في الثقافات والقناعات السياسية ، وهذا يعني أنّ تفكير (فضل الله) في هذه المسألة ناشئ من طبيعة الأعراف الدولية التي تسود في عالمنا المعاصر، والتي تعدّ كل دولة مسلمة هي بمثابة وطن لأبنائها، ومِن ثمَّ فان مفهوم المواطنة في فكر الإسلاميين المعاصرين يخضع لمتطلبات الواقع المعاصر، التي تجبر الدول على تبني المواطنة الخاضعة للانتماء الإقليمي تحت أطار السيادة الوطنية .[56]

ولذا فان الحديث عن "مواطنة دينية" في ظل الواقع الراهن يثير الكثير من الكلام والاستهجان في الوقت نفسه، ذلك لأن المواطنة في ظل هذا الوضع الراهن إنما هي مفهوم سياسي بامتياز، نشأ وترعرع في سياق تطورات سياسية مهمة كان من أهم معالمها :[57]

1- إعطاء الوطن معنى (الأرض) التي شهدت قيام تجانس بين المقيمين فيها بحيث باتوا يشكلون أمةً بفضل حياة مشتركة خلال تاريخ طويل.

2- محاولة المطابقة بين الكيان السياسي (الدولة) والشعب ، والذي قام بين مكوناته مستوى أو آخر من التجانس (الأمة)، إذ شكلت فكرة الدولة نوعاً من الحل للصراعات العرقية في التاريخ الأوروبي الحديث على الحدود والممتلكات والوراثات.

3- عدّ المنتمين إلى اجتماع سياسي محدد مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات قُبالة القانون بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والمذهبية والطبقية والعرقية.

وفي الاطار نفسه يعزز التيار القومي ذلك الإتجاه في جعل مفهوم (الأمة) لا يتعارض مع المواطنة، إذ يذهب بعضهم للقول" أن إحالة الوحدات القومية والعرقية إعتماداً على الحدود الجغرافية ، يجعل جميع من يتمتعون بالوحدة القومية أفراد متساوين في المواطنة، إذْ إنّ القومية

54(*) أخرجه أبو داود ح(1140)؛ وابن ماجه ح(1275)؛ وأحمد ح(11073).
55() نقلاً عن : نزار محمد جودة الميالي , مصدر سبق ذكره ، ص215-216.
56() محمد حسين فضل الله، فقه الشريعة، ط9 ، دار الملاك للطباعة والنشر ، بيروت ، 2011 ، ص618. للمزيد من التفاصيل ينظر: نزار محمد جودة الميالي ، مصدر سبق ذكره ، ص207-208.
57() علي يوسف ، مصدر سبق ذكره ، ص66.

تذهب إلى أولوية الولاء للوطن على حساب الولاء للدين أياً كان ذلك الدين، في حين يؤكد الإسلام على أن الولاء يكون لله والعقيدة حصراً". [58]

وتأسيساً على ما تقدم، وبعد أنّ تم عرض تعارض الأمة والمواطنة، والتي أظهرت لنا مصطلح -المواطنة الدينية- عند بعض الباحثين، ومِن ثمَّ عرض عدم التعارض بينهما، والتي يمكن أن يطلق عليها المواطنة السياسية- أن صح التعبير-، وعلى ذلك يذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى تقسيم المواطنة عند المسلمين إلى ثلاثة تيارات تبعاً لموقف كل منها من فكرة الأمة ونظرتها إليها، فتم توزيعها على وفق الآتي:[59]

1- تيار يتخذ من الكيان السياسي (الدولة) التي ينتسب إليها مسرحاً لأنشطة السياسة ، وبذلك فإنّه تحول من فكرة الأمة الإسلامية الجامعة لكل المسلمين إلى الأمة القومية أو الوطنية الجامعة لجزء من المسلمين، وفي ذلك تكييف مع الواقع القائم وإن لم يكن هنالك رضا من جميع المسلمين عليه، وهو ما يطلق عليه بـ (المواطنة السياسية)، إذ يرى باحث إسلامي معاصر أن مصاديق ذلك التيار نلحظها في كل من إيران وتركيا على الصعيد الرسمي، وفي القوى والحركات الإسلامية التي ترفض العنف، وتحصر نشاطها في الكيانات السياسية التي تعيش فيها، وتمارس تلك الأنشطة بأساليب سياسية.

2- تيار ظل متمسكاً بفكرة الأمة الإسلامية الجامعة لكلّ المسلمين، وإدانة الكيانات السياسية القائمة ، ورفض حصر أنشطته في إطارها، وبالأساليب السياسية المقبولة فيها ، حيث يتوجه إلى الجهاد في كل مكان يتطلب في – نظرهم – الجهاد، وذلك التيار يحدد انتماءه إلى الأمة الإسلامية ، وليس إلى هذا البلد أو ذاك ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه بـ (المواطنة الدينية).

3- وهنالك تيار آخر يسمى بـ (تيار الإسلام الأقليّ)، ومصاديقه المسلمون المهاجرون إلى الغرب، أو المستوطنون نهائياً فيه، والساعون لإقامة هويتهم الدينية في مجتمعات علمانية وذات أصول مسيحية، ما يجعل سعيهم صعباً ومعقداً في الوقت نفسه.

فمسلمو هذا التيار مستوطنون في بلدان ذات أنظمة سياسية علمانية تجهل الإسلام وتتجاهله في الوقت نفسه، وان كانت هذا الانظمة العلمانية تتهاود معه، فان المسلمين هناك يطمحون إلى تحقيق أمرين:

- أن يعاملوا كمواطنين، وأن تكون لهم ما لأبناء موطنهم الجديد من حقوق وواجبات من دون أي تمييز.
- أن يجد لهم الفقهاء عبر الاجتهاد مخارج دينية للمشكلات التي يواجهونها" الحجاب؛ الطعام؛ الاختلاط؛ إلخ"، أو أن تمكنهم الانظمة السياسية العلمانية التي يعيشون في كنفها من ممارسة أحكام دينهم في ما يتعلق بالأحوال الشخصية، لا سيما ماكان منها ذا طابع حرمي مقدس، على غرار تعاطي المجتمع الإسلامي مع أبناء الديانات الأخرى، وطبعاً هذا هو المفضل لديهم.

---

[58] نزار محمد جودة الميالي، مصدر سبق ذكره ، ص210. وكذلك ينظر: محمد فاوبار، الخطاب السياسي للفاعل الديني بين منطق التوحيد الأيديولوجي واكراهات التعدد السياسي والاجتماعي في المغرب: جماعة العدل والاحسان إنموذجاً، في: اشرف عثمان محمد الحسن وآخرون، الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة، ج2، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص90-91.

[59] علي يوسف، مصدر سبق ذكره ، ص 69-74 .

ومن الواضح أن الأولوية التي يعطيها هؤلاء المسلمون- طائعين أو مرغمين- للانتماء السياسي، ومن ثمَّ للمواطنة بمعناها السياسي، وذلك لاستحالة إعطاء الأولوية عملياً وواقعياً للانتماء الديني.

الخاتمة

أن لكل فرد من الافراد عدداً من الانتماءات، ومن بين هذه الانتماءات الانتماء الديني والانتماء السياسي، فالانتماء الديني يقصد به الإيمان بدين، أو أحد مذاهبه، أو حتى مدرسة من مدارس هذا المذهب؛ في حين ان الانتماء السياسي بمعناه العام يقصد به الانتماء إلى دولة لها نظامها وسلطاتها ودستورها وقوانينها ومؤسساتها، وهذا الاخير يختلف عن الانتماء السياسي بالمعنى الخاص كالانتماء الحزبي مثلاً.

ومن ثمَّ نجد إنّ العلاقة بين مفهوم المواطنة ومفهوم الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر علاقة جدلية بامتياز, مما نجم عنها بروز تيارين يذهب إحداها إلى القول بالتعارض بين الأمة والمواطنة، لانهُ يعّد الأمة الإسلامية هي وطن المسلم، ومِن ثمَّ فإنّه لا يعترف بالأوطان الصغيرة، وإنّ كان بعض أنصار ذلك التيار يؤمنون بالمواطنة؛ ولكن الدينية، وليست السياسية، والتي تكون حدودها حدود الشريعة الإسلامية ، ويكون الولاء فيها متقدم للأمة الإسلامية على كل ولاء، في حين يذهب التيار الآخر إلى القول بأنّه ليس هناك تعارض بين المفهومين، إذ يؤمن بالوطن السياسي، ويعدَّ حب الوطن والدفاع عنه مقدم وسابق على أي حب وولاء، فالولاء للوطن يكون في المقدمة، ومِن ثمَّ تتبعه الولاءات الأخرى، وهذا التيار الثاني اليوم هو الاكثر انتشاراً بين المفكرين والباحثين الإسلاميين المعاصرين، إذ عمدَ انصار هذا التيار إلى التوفيق بين المواطنة والمنظومة الفكرية للإسلام بصفةً عامة، والتوفيق بين المواطنة والأمة بصفةً خاصة.

Abstract

There is a discrepancy in contemporary Islamic thought regarding the relationship between citizenship and the nation, as the contemporary Islamic vision has divided over this issue. Some say that citizenship contradicts the concept of the nation in Islamic thought, as they find in the concept of citizenship a Western heresy that conflicts with the concepts of Islamic thought about the nation that is based on religious ground , while citizenship is based on secular ground.

On the other hand , others believe that there is no contradiction between the two concepts, even some argue that the concept of citizenship is actually an Islamic concept, and ,thus, consequently they see allegiance to the homeland overweighs allegiance to the nation.

This research will discuss the concepts of citizenship and the nation in general as a theoretical and conceptual framework for study, and then delve into the theses of contemporary Islamic thinkers and researchers on the relationship between the concept of citizenship and the concept of the nation.